جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ والآثار

سلسلة الدروس عن بعد رقم المحاضرة 8 : السداسي الثاني

❖ المقياس: حضارات ما قبل التاريخ وفجر التاريخ وبداية الاستقرار ببلاد المغارب

❖ د. بلحرش حسين hbelahreche@gmail.com

السنة الجامعية 2020/2019

حضارات العصر الحجري القديم الأعلى في بلاد المغارب 2
الحضارة القفصية

1- الإكتشاف وأصل التسمية

- ✓ يرجع الفضل للباحث ديمورقان في اكتشاف الموقع الأثري النموذجي بقفصة بتونس سنة 1909 (De Morgane, 1909 ; Capitan, 1909) حيث قام هو والدكتور كابيتان بتسمية الرماديات التي احتوت على البقايا الأثرية بالحضارة القفصية (Grebenard, 1976).
- ✓ اعتقد الباحث ديمورقان أنها تنتمي إلى حضارات العصر الحجري القديم الأعلى وبالتحديد إلى الحضارة الأريغناسية أو إلى الحضارة البيرغوردية وشاطر الباحث ريقاس هذا الرأي مشيدا على التشابه الكبير في المحتوى الأثري للحضارة القفصية مع هاتين الحضارتين وانتسابها إلى حضارات العصر الحجري القديم الأعلى حيث طلب بحذف تسمية القفصة (Camps, 1974).

2. نبذة عن أهم الأبحاث الأثرية للحضارة القفصية

- جلبت الحضارة القفصية اهتمام الكثير من الباحثين كونها تعتبر مفصلية تفسر التواصل الحضاري بين العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث وقد تم نشر الكثير من المقالات والمذكرات والرسائل والتي تم تقسيمها إلى ثلاث مراحل.

- ✓ المرحلة الأولى تعتبر مؤسسة للاكتشاف وبالتالي قديمة ما بين سنة 1909 وسنة 1940 والتي خصت كل من الباحث ديمرقان وقوبير وبيلاري وريقاس وفوفري.

- ✓ تليها المرحلة الثانية التي أجريت بين سنة 1950 وسنة 1970 والتي خصت كل من الباحث قريبينار وكومبس وبالوا حيث أحدثت هذه الأخير تطورا قيما في المعارف الأثرية للحضارة القفصية.

- ✓ المرحلة الثالثة فهي تخص الدراسات الحديثة بطرق متطورة وانطلقت منذ سنوات الثمانينات من روادها الباحث لوبال الذي أجرى أبحاثه على مواقع بالشرق الجزائري (Lubelle, 1979) والباحث رحماني الذي أجرى عدة دراسات لمواقع بتونس والجزائر حاول من خلال تحليل النتائج التي استقاها منها أن يبرز الحدود الكرونو–ثقافية بين القفصي النموذجي والقفصي الأعلى (Rahmani, 2003)، أما الباحث الإيطالي بيلازاني وكذا الباحث بلهوشات ركزا أبحاثهما على المواقع التونسية أبرزها موقع هرقلة (Mulazani, 2012 ; Belhouchet, 2012).
- ✓ أهتمت الباحثة عاودية بجانب الطقوس الجنائزية للحضارة القفصية حيث درست بعض المواقع بالجزائر أهمها موقع فايد الصوار (Aoudia, 2013)، في حين ركزت الباحثة مرزوق على ابراز جانب البيئة القديمة وعلاقتها بالغطاء الحيواني لكل من الحضارة الإبيرومغربية والحضارة القفصية وذلك من خلال الدراسات التي خصت بها موقع تازة وموقع مجاز بالجزائر (Merzoug, 2014).

- ✓ أوضحت الدراسات الأثرية السالفة الذكر الانتشار الواسع لمواقع الحضارة القفصية، وخص هذا الانتشار المناطق الداخلية دون المنطق الساحلية عكس واقع الحضارة الإبيرومغربية التي تسبقها زمنيا، حيث يتأكد تواجدها في قفصة وتبسة وسطيف وبكثرة كما يتأكد تواجدها في بعض المواقع غرب الجزائر، ويبقى انتشار الحضارة القفصية نحو الجنوب غير وارد بحثيا لحد الآن (Camps, 1974).

3. الإنسان القفصي

- ✓ نسب الإنسان القفصي إلى الصنف المتوسطي في سنة 1949 جراء الحفريات التي أجريت من طرف عدد من الباحثين في كل من موقع عين مترشم بتونس وموقع مجاز بسطيف وموقع عين دكارة الذي قدم نماذج احتوت على خصائص مختلفة تضاهي تلك التي نجدها عند انسان مشتا العربي، بحيث اعتقد الكثير الأثريين على أن انسان مشتل العربي هو الوحيد الذي عمّر شمال إفريقيا خلال فترات العصر الحجري القديم المتأخر، إلى أن أبرمت الأبحاث التي قام بها الباحث بالوا سنة 1949 في عين دكارة والتي كللت باكتشاف هيكل عظمي قام بدراسته الباحث شملة فيما بعد (Chamla, 1973).
- ✓ أكدتها الأبحاث التي أجريت في موقع مجاز II والتي أسفر عنها اكتشاف أربعة هياكل عظمية ثلاثة منها تنتمي للصنف الما قبل المتوسطي وواحد فقط لصنف مشتا العربي، كلها اكتشفت ضمن محتوى أثري عرف كوجه ثقافي للقفصي الأعلى.

4. نمط معيشة القفصيين

- ✓ عاشت واستقرت المجموعات البشرية القفصية في المدة الممتدة بين الألفية الثامنة والألفية الخامسة واعتمدت على نمط معيشي قائما أساسا على القطف والصيد.
- ✓ احتوت جل المواقع الأثرية على غرار تلك التي نجدها في الجنوب القسنطيني والجنوب التونسي على توضعات اثرية تميزت بكثافة الرماد و تراكم الحجارة المحروقة وكثرة الحلزونيات حيث عرفت بتسمية الرماديات أو كما سماها الباحثين بالحلزونيات، كما أنها تحتوي كذلك على بقايا الطبخ ممزوجة ببقايا فحم (Grebenart, 1972)، حيث تمثل بقايا الحلزونيات المتنوعة نسبة 40% من مجموع البقايا الأثرية الأخرى (Camps, 1983).
- ✓ أوضحت الدراسات التي قام بها الباحث لوبال في العديد من المواقع القفصية أن الإنسان القفصي كان يعمر تلك المواقع بصفة فصلية ثم يهجرها، تتوضع تلك الركام الرمادية الهشة بفعل العوامل المناخية وتكون طبقة صلبة متماسكة، بالإضافة إلى التعرية التي تسببها بعض الحيوانات الصغير والنباتات.

- ✓ إن تواجد بقايا عظمية لحيوانات آكلة للأعشاب في المواقع الأثرية تأكد أن الحلزونات لم تكن الغذاء الوحيد والأساسي للقفصيين، وقد تم التعرف خلال الحفريات على بعض منها على غرار البقر والغزلان والأروية والأحصنة (Camps, 1983) ويعتبر الظبي النموذج الأكثر تواجدا في المواقع القفصية، في موقع مجاز II على سبيل المثال تصل نسبة استهلاك الظبي 52% من مجموع العظام المكتشفة في الموقع أما في موقع الماء الأبيض قدرت نسبة استهلاكه ب 69%.

- ✓ اعتقد الباحث مورال أن الإنسان القفصي مارس سلوكا انتقائيا خلال اصطياده لبعض الحيوانات التي أظهرت بقاياها العظمية حداثة سنها، ويرى الباحث في هذا الصدد أن هذا الإنتقاء قد يكون غرض الإبقاء على وفرة القطيع وذلك بالسماح له بالتكاثر (Morel, 1974)، بينما يرى الباحث لوبال أن كثرة بقايا الظباء في المواقع قد يكون أولا لوفرتها وثانيا لأنها اسهل للاصطياد مقارنتا مع غيرها من الحيوانات الآكلة للأعشاب الأخرى (Lubell, 1975).

- لاحظ الباحثون غياب شبه كلي لعظام الحيوانات الطائرة، علما أن بيض النعام كان واسع الإستعمال من طرف القفصيين وفي شتى حاجيات الحياة اليومية لهؤلاء على غرار الأواني ومعدات الزينة (Rahmani, 2003; Lubell, 2008)، إلا أن الباحثة مرزوق اكتشفت بعض أجزاء لعظام طير النعام وسط ركام عظمية لجزارة، وبينت عملية معاينة هذه العظام آثار للقطع من جراء عملية الجزارة (Merzoug, 2001)، مؤكدتا أن هذا الطائر قد تم استهلاكه غذائيا من طرف المجموعات البشرية للقفصيين.

5. الصناعة العظمية

- تعد الصناعة العظمية من بين النشاطات الكثير التي مارسها الإنسان القفصي، وهي متواجدة بأنواع وأعداد متفاوة في المواقع حسب الأطر الكرونو ثقافية للحضارة القفصية، حيث تعد جد ضئيلة في الطابق الذي يحتوى على مرحلة القفصي النموذجي متمثلة في حوالي ستة أنواع منها أربعة أنواع من المثاقب وأدات واحدة للخرز وأداة للتمليس (Camps, 1974).

عنوان المحاضرة: **الحضارات العصر الحجري القديم الأعلى في بلاد المغارب 2**

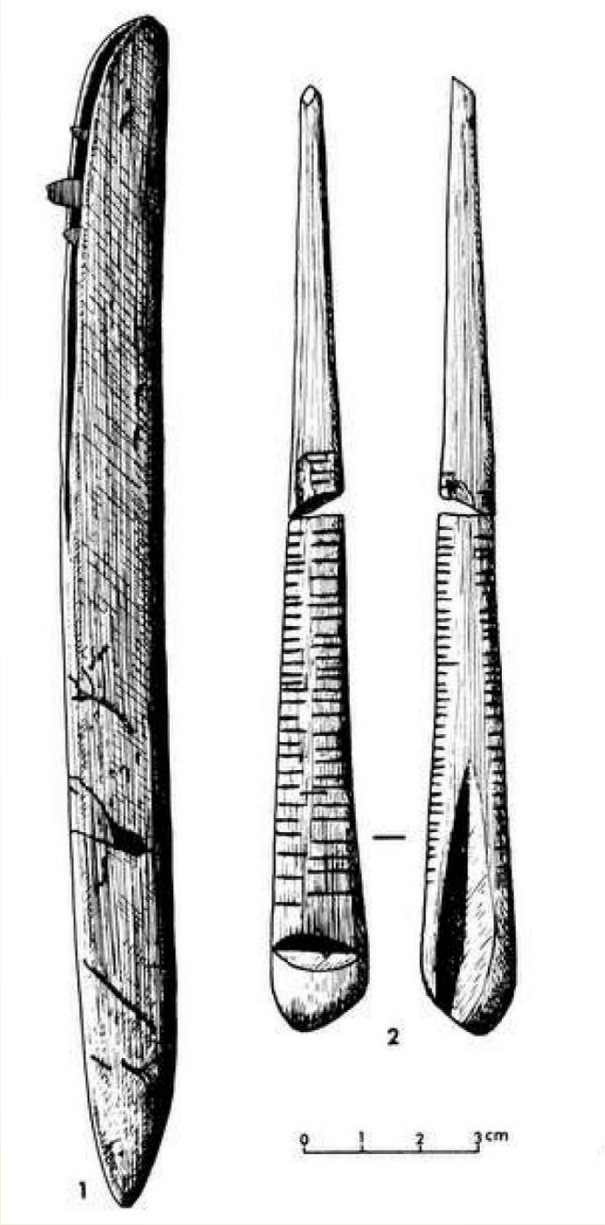

نماذج من الصناعة العظمية للقفصي الأعلى

د. بلحرش. ح

- ✓ بينما لاحظ الباحثون أن الصناعة العظمية عرفت تطورا ملحوظا في الطابق الذي يحتووي على مرحلة القفصي العلوي، حيث بينت الدراسة التنميطية التي قامت بها كامبس فابرار في عقدي الستينات، على وجود خمسة مجموعات متباينة ضمن الصناعة العظمية للحضارة القفصية وهي أدوات عظمية قاطعة والمثاقب وأدوات عظمية للتلميس والمخارز والمناجل وأدوات عظمية للزينة (Camps Fabrer, 1962).

6. المظاهر الفنية للحضارة القفصية

- ✓ مارس الإنسان القفصي نشاطات عبر من خلالها فنيا، واقتصر ممارسته للفن على ثلاثة دعائم مختلفة الأولى بيض النعام والثانية زخرفة الأواني الفخارية والثالثة اللوحات الحجرية المنقوشة كلها متواجدة في المواقع القفصية بصفة متباينة، لكن يعتبرها الباحثين مؤشرا ثقافية يساعد في تحديد الوجه الثقافي بدقة.

عنوان المحاضرة: الحضارات العصر الحجري القديم الأعلى في بلاد المغارب 2

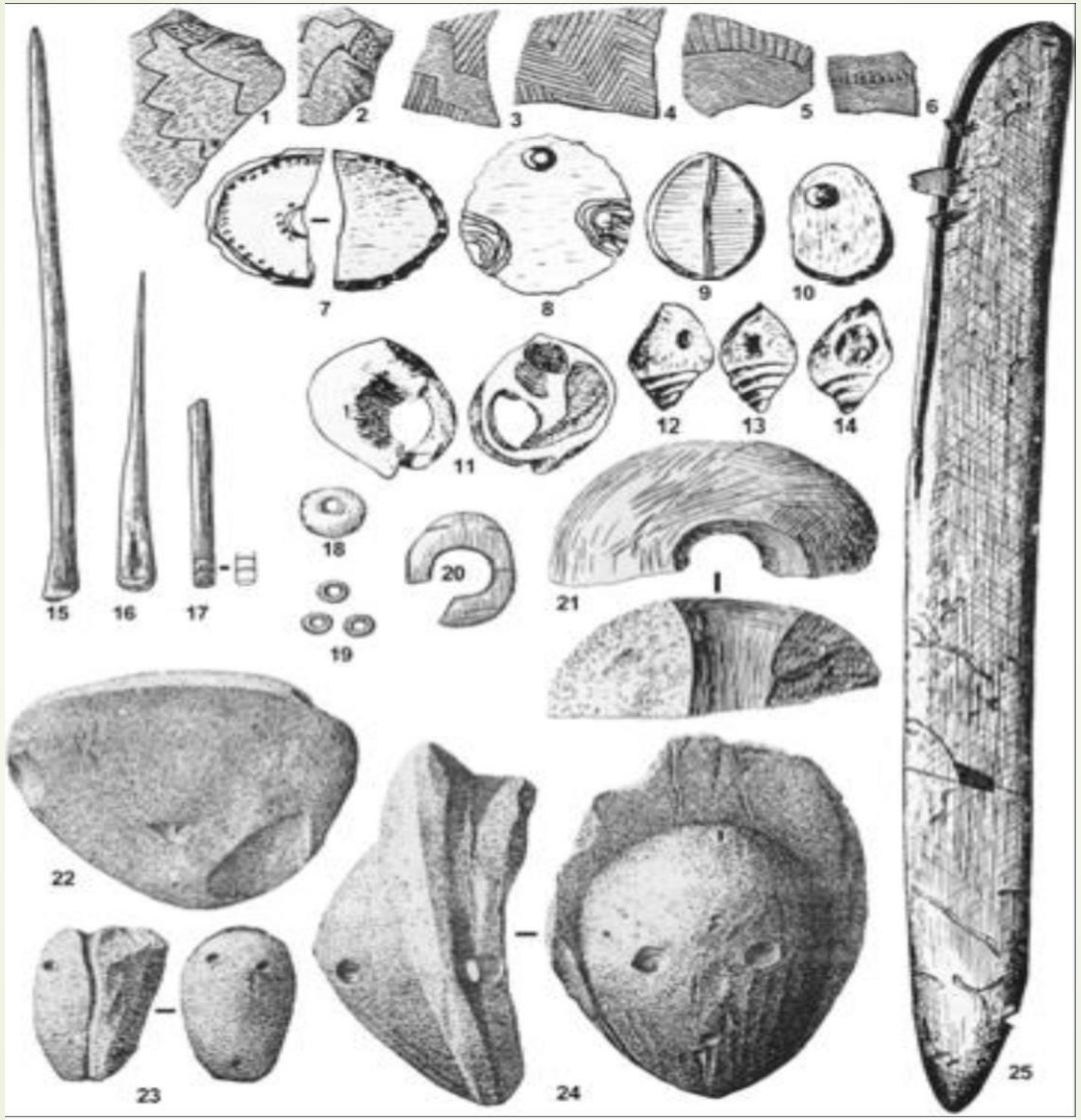

المظاهر الفنية للحضارة القفصية(Rahmani,2003)

د. بلحرش. ح

- ✓ استعمل الإنسان القفصي بيض النعام في حياته يومية على غرار استعماله الأدوات الحجرية والأدوات العظمية واعتبرها مادة مميزة فصنعوا منها قوارير و حاويات للمواد السائلة وأواني (Camps Fabrer, 1962)، تفنن الانسان في تفصيله لتحقيق الأشكال التي أراد صنعها، ونخص بالذكر استعماله للقشور الصغيرة والتي وظفها للزينة كالحلي المشكلة من الدوائر الصغيرة مثلا.
- ✓ بينت الدراسة التي قام بها الباحث بلهوشات على قشور بيض النعام أن الأشكال الهندسية المنقوشة عليها تمثل بأسلوب تخطيطي أشكال حيوانية وعلى وجه التحديد طير النعام ذاته (Behouchet, 2008).

6. طقوس الدفن عند القفصيين

- ✓ أظهرت حفريات المواقع القفصية عدد هائل من العظام الأنسانية التي تدل حتما على وجود طقوس الدفن في هذه الحضارة (Camps, 1983)، ولم تلاحظ أن هناك طريقة دفن خاصة كما تشير عليه البقايا المكتشفة في مواقع مجاز II ومجاز I والتي بينت تفكك عظام في وضعية دفن الزامية في الأولى بينما اكتشفت وضعية استلقاء جانبي في الثانية .

- ✓ تتميز القبور القفصية بدفن فردي بتهيئة الحفر على شكل بسيط أو استغلال الحفر الطبيعية للدفن بعد تقطيع الجثة ولم يتم تنظيم مناطق خاصة للدفن في المواقع، كما تم تعيين وضعيات دفن الجثث بطرق متنوعة منها طريقة الجثة المنطوية أو الممدودة على الظهر أو الممدودة على الجانب أو نزع المفاصل ووضعها في حفرة ضيقة (Camps, 1974; Aoudia, 2013).
- ✓ مارس القفصيين عملية قلع الأسنان واقتصرت بتطبيقها على العنصر الأنثوي كطقس يرمز للانتقال إلى مرحلة البلوغ، ولم يطبق هذا الطقس على العنصر الذكوري ما عدا النموذج المكتشف في موقع عيون بريش، بينما في طبق هذا الطقس عند الإبيرومغربيين على الجنسين الذكري والأنثوي.
- ✓ تواجدت مادة المغرة في المدافن القفصية بطرق مختلفة وغالبا ما نجدها على شكل فراش تحت الهيكل العظمي أو على شكل كتل أو على شكل أقلام ، مورست هذه الظاهرة بطريقة منتظمة في المقابر القفصية لذا اعتبره بعض الباحثين كطقس جنائزي ربما يرمز لمكانة الميت في المجموعة البشرية للقفصيين أو ربما لغرض عقائدي آخر.

7. الصناعة الحجرية في الحضارة القفصية

- ✓ اعتمد الباحث كامبس على المحتوى الأثري لموقعين هامين روليلاي والمكتا قصد تعريف المجموعات الحجرية للحضارة القفصية ومن ثم تبين له أن القفصي النموذجي الذي يتضمن مستويات قديمة يتميز بأدوات خشنة الصنع أما في القفصي الأعلى اعتمد الإنسان صنع نصيلية وهندسية.

❑ الصناعة الحجرية للقفصي النموذجي

- ✓ استعمل الإنسان صناعة قائمة على النصال والشظايا ويكون التهذيب عليها حاد كما نجد هذه التقنية كذلك في النصيلات حيث تكون مستقيمة وحادة، نلاحظ كذلك أن تقنية الظهر المجندل خصت معظم الأدوات حيث نلاحظها على المكاشط والأزاميل وبعض المثاقب، التهذيب المباشر يعتبر خاصية أدوات القفصي النموذجي (Camps, 1974).
- ✓ تعد الأدوات القزمية والهندية جد ضئيلة في مواقع القفصي النموذجي ولا تتعدي 5% من مجموع الكلي للأدوات، خاصة إذا كانت الأزاميل موجودة بكثرة (Camps, 1983).

عنوان المحاضرة: الحضارات العصر الحجري القديم الأعلى في بلاد المغارب 2

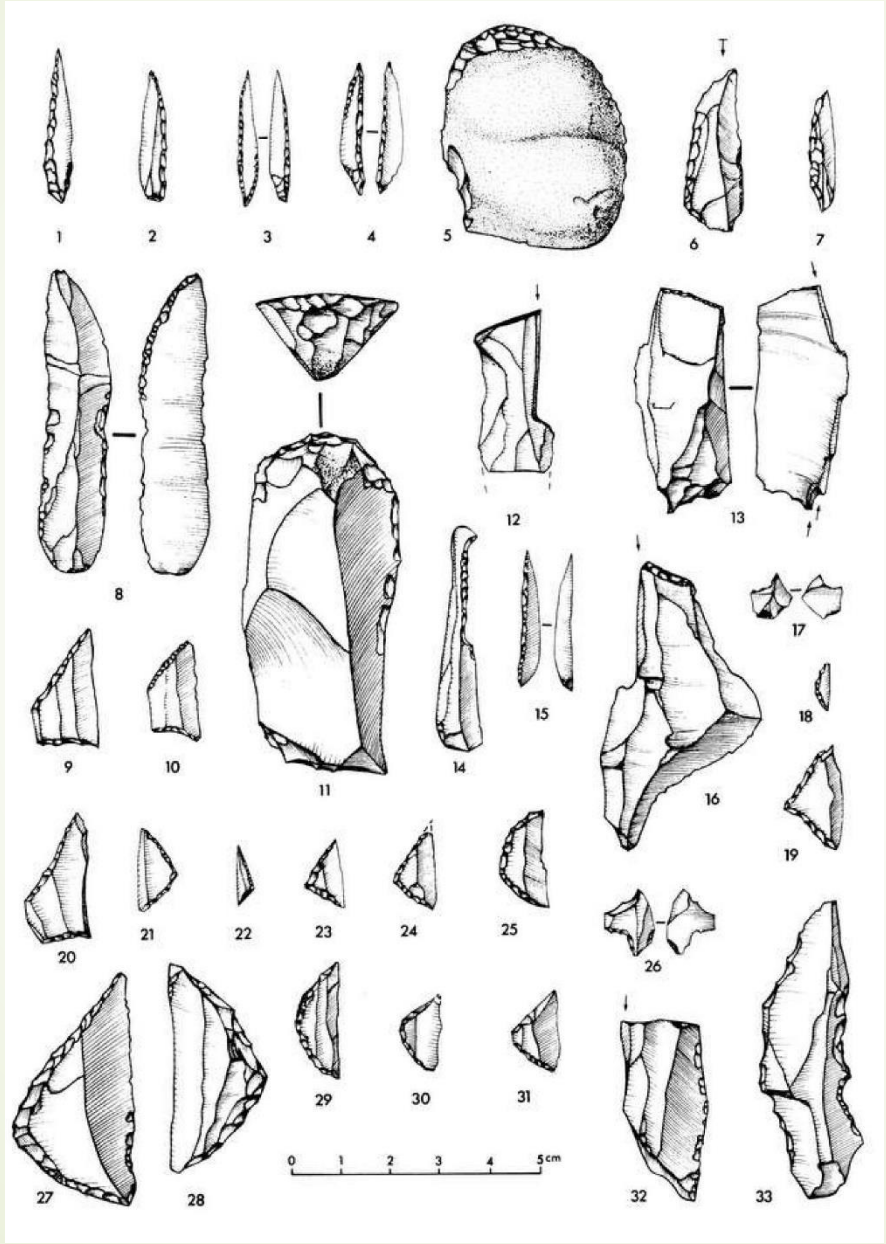

نماذج من الصناعة الحجرية للقفصي الأعلى

د. بلحرش. ح

○ توسع القفصي النموذجي

✓ ينحصر القفصي النموذجي في جنوب شرق المغرب وفي جنوب تونس والشرق الجزائري، مواقعه متواجدة جنوب تبسة بالضبط في تمارزة بالقرب من ردايف وعين زنوشة شرقا وموقع مهمل غربا وموقع شريعة شمالا .

❑ الصناعة الحجرية في القفصي الأعلى

✓ يعتبره الباحثون كمرحلة تطويرية للقفصي النموذجي، هو فعلا تطور الأدوات الخشنة التي لم تعوض، وهو كذلك يتميز بكثرة الأدوات القزمية والهندسية، والكثرة النصيلات والقزميات بكل أنواعها.

✓ يتميز القفصي الأعلى بالتقصيب بالضغط، بحيث نجد النصيلات أكثر رقة واستقامة والتي استعملت لصناعة الأشكال الهندسية مثل المثلثات والهلاليات

الصناعة الحجرية في القفصي الأعلى

- يعتبره الباحثون كمرحلة تطويرية للقفصي النموذجي، هو فعلا تطور الأدوات الخشنة التي لم تعوض، وهو كذلك يتميز بكثرة الأدوات القزمية والهندسية، والكثرة النصيلات والقزميات بكل أنواعها.
- يتميز القفصي الأعلى بالتقصيب بالضغط، بحيث نجد النصيلات أكثر رقة واستقامة والتي استعملت لصناعة الأشكال الهندسية مثل المثلثات والهلاليات، أما النصيلات الأقل استقامة فإنها استغلت لصناعة أدوات ذات الحزز و المسننات، وفي هذا الصدد يعتبر التقصيب بالضغط الميزة الرئيسية للقفصي العلوي واعتبرها الباحثون مؤشرا تقني وكرونولوجي (Rahmani, 2003).

توسع القفصي العلوي

- توسع القفصي الأعلى إلى الغرب في موقع كلمناطة وتيارت كما وصل إلى الحدود الغربية للأطلس الصحراوي حيث بلغ منطقة مسعد حسب الدراسات التي قام بها تيكي، وعين الناقة حسب تلك التي قام بها قريبينار (Camps, 1974).

المراجع:

AUMASSIP G. (2001), L'Algérie des premiers Hommes, Paris, éd. Maison de l'Homme, 221 p.

CAMPS G. (1972), Les industries Epipaléolithiques du Maghreb et du Sahara septentrional, in L'Epipaléolithique Méditerranéen, Aix en Provence, juin 1972, p. 83-117.

CAMPS G. (1974), Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara, Paris, Doin, 375 p.

CHAMLA M.C. (1970), Les hommes épipaléolithiques de Columnata (Algérie occidentale). Etude anthropologique. Mémoire du Centre de Recherches Anthropologiques Préhistoriques et Ethnographiques, 15, Paris, 147 p.

CHAMLA M.-C. (1973), « Étude anthropologique de l'Homme capsien de l'Aïn Dokkara (Algérie orientale) », Libyca, 21, p. 9-53.

CHAMLA M.-C. (1978), Le peuplement de l'Afrique du Nord de l'Épipaléolithique à l'époque actuelle, L'Anthropologie, 82 (3), p. 385-430.

HADJOUIS DJ. (2003), Hominidés et grands mammifères dans leur contexte environnemental au cours du Quaternaire maghrébin : Évolution, taxinomie, biostratigraphie, biodynamique, morphogenèse et paléopathologie, HDR, Université de Perpignan, 295 p.

PALLARY P. (1909), Note sur un gisement paléolithique de la province d'Oran, Bulletin du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques, p. 341-342.

SOUVILLE G. (1973), Atlas préhistorique du Maroc : 1 – le Maroc Atlantique, Paris, éd. CNRS, 368 p.